

دور علم الاجتماع في العالم العربي

- الواقع والآفاق -

The role of sociology in the Arab world - Reality and prospects

يوسف بالنور *

جامعة (الوادي)،: bennour.youcef4@gmail.com

تاريخ الاستقبال: 2023/12/22؛ تاريخ القبول: 2024/04/27؛ تاريخ النشر: 2024/05/20

ملخص:

لقد مضى على نشأة علم الاجتماع في العالم العربي أكثر من سبعين سنة، مع بدايات حركة الاستقلال العربي، ولقد سارع العلماء والباحثون في العالم العربي إلى إنشاء كليات للعلوم الإنسانية ومراكز للبحوث المختلفة، لكن جاءت هذه المؤسسات رهينة للمرجع والمنهج ولأدوات التحليل الغربي، فهي رهينة لإستخدامات المفاهيم النظرية والتقنيات الغربية لفهم واقعنا المعاصر، دون التنبيه إلى الفوارق الجذرية بين المجتمعات العربية الإسلامية والمجتمعات الصناعية الغربية، الأمر الذي أدى إلى سوء الفهم لمشكلات وظواهر مجتمعاتنا العربية والإسلامية، والذي زاد الأمر سوءاً هو أن كل أعمال المتخصصين العرب في علم الاجتماع كانت مجرد أعمال تدريسية في الكليات والمعاهد والأقسام الجامعية، لم تنتج سوى إصدارات لمجموعة من الكتب والدوريات، أو لأطروحات للدكتوراه ولرسائل الماجستير ليس إلا، ولكن هؤلاء المتخصصين لم يتجرأوا بعد في إنتاج حقيقي لعلم الاجتماع ونظرياته العلمية، بما يواكب دراسة مشكلات العرب السياسية والاجتماعي والإقتصادية، كما هو الحال عند علماء الغرب.

الكلمات المفتاحية : علم الاجتماع - نقد اجتماعي - مجتمع - علاقات إجتماعية - تغير إجتماعي

Abstract : More than sixty years have passed since the emergence of sociology in the Arab world, with the beginnings of the Arab independence movement. Scientists and researchers in the Arab world hastened to establish colleges for the humanities and centers for various research, but these institutions became hostage to the reference, the method, and the tools of western analysis, and even to the uses of concepts. Western theory and techniques to understand our contemporary reality, without paying attention to the radical differences between Arab Islamic societies and Western industrial societies, which led to a misunderstanding of the problems and phenomena of our Arab and Islamic complexes, and what made matters worse is that all the works of Arab specialists in sociology were merely teaching works in Colleges, institutes and university departments, It has only produced publications of a group of books and periodicals, and also only doctoral dissertations and master's theses, but these specialists have not yet dared to truly produce sociology and its scientific theories, in a way that keeps pace with the study of Arab political, social, and economic problems, as is the case with Western scholars .

Keywords: Sociology ; Social criticism ; Community ; Social relationships; Social change

- تمهيد :

بادئ ذي بدء يجب الإقرار أن علم الاجتماع كباقي العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى، ظهر كرد فعل أكاديمي على وضعية المجتمعات الأوروبية في منتصف القرن التاسع عشر، وتأسل وتبلور على يد ثلة من مفكري وفلاسفة الغرب، حاول جميعهم منذ نشأة هذا العلم على يد "أغوست كونت" وأستاذه "سان سيمون" من صياغة فرضيات بغية إيجاد إجابات مقنعة للإشكالات المطروحة وبناء منظومة علمية، لتقديم الفهم الملائم لطبيعة الإنسان والمجتمع والعلاقات القائمة بينهما وإتخاذ موقف من البيئة الاجتماعية، تمكن الباحث الاجتماعي من تفسير الظواهر الاجتماعية والتأكيد على حقيقة أن البيئة الاجتماعية تؤثر على الإنسان وتشكل شخصيته وفي نفس الوقت هي نتاج لأفعال الإنسان نفسه، في مقابل هذا العالم هناك العالم العربي الذي انتهت فيه حضارته وأصبح مجتمعا كما سماه "مالك بن نبي" مجتمع ما بعد الموحدين، أنطفأ فيه ضوء البحث العلمي منذ أيام "إبن خلدون"، والذي زاد الأمر سوءا هو خضوع هذا الجزء من العالم إلى حالة من الضعف والهنة والانحطاط، ختمت هذه الوضعية دخول مستعمر غاشم قضى على الأخضر واليابس، والأخطر من ذلك أن مناهج ونظريات العلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع خاصة صُبت في العالم العربي والإسلامي من خارج قيمه وثقافته الخاصة به، بمعنى أن علم الاجتماع كان وليد حضارة وثقافة لها تاريخها وفلسفتها وخصائصها، وأيضا جاء وليدا لمجتمعات لها أزماتها ومشكلاتها وتحولاتها الاجتماعية وكذا نسقها المعرفي.

والحقيقة أن الوضع الذي يعيشه العرب والمسلمين اليوم لا يحسدون عليه، ومن حقنا طرح إستشكال عن هذه الوضعية المخرجة، وتساءل في هدوء إذا ما كان هناك عجز لدى الباحثين الاجتماعيين في الوطني العربي في إستنطاق الواقع المعاش وبما يسمح لهم بتقديم إجابات وحلول علمية لما يعانونه من مشكلات، أم أن المشكل غير مطروح البتة على النخبة المثقفة في العالم العربي، وأن المشكل مطروح في صميم إبستمولوجيا العلوم الاجتماعية نفسها التي لم تعد قادرة بمقاربتها ومنهجيتها وأدواتها على تفسير وفهم تعقيدات الواقع النفسي والاجتماعي للمجتمع العربي والإسلامي، أم أن هذا العجز الملاحظ لا يُطرح لا على مستوى الباحث ولا على المستوى النظري والمنهجي، بل يطرح على مستوى المجتمع في حد ذاته والسلطة التي تقوده، بحيث لازال يُعتقد أن المجتمع العربي والأنظمة الحاكمة لم تدرك بعد أن العلوم الاجتماعية هي أحد الأدوات العلمية التي بإمكانها أن تقدم له الحلول والإجابات للمشاكل والقضايا المطروحة عليه، وفي هذه الحال كان من الضروري أن نستذكر معا أطروحة "إبن خلدون" وشعوره بالحاجة إلى وجود علم خاص يدرس أحوال العرب، سماه "علم العمران والاجتماع البشري".

لقد كتب عالم الاجتماع المغربي "مصطفى محسن" كتاب سماه: "بيان في الثورة" ضمنه نداء لكل علماء الاجتماع العرب في إطار تقييمه لما عرف به: "الربيع العربي"، جاء في هذا النداء قوله: "هذه فرصتكم أيها السوسيولوجيون الأفذاذ في مجتمعاتنا، وهذا زمن قوميتكم الفكرية المنتظرة، لنبد الصمت وكل مقومات التخلف والتطرف والرداءة الثقافية والقيمية والسياسية السائدة في سياقنا العربي، ولإستعادة مبادرتكم المأمولة المفتقدة...." (محسن، 2012)، ومن البديهي أن هذا الكتاب يندرج في خانة لائحة عريضة من الأعمال التي تطرقت بالتقييم والنقد لحدث الساعة في المنطقة العربية؛ أي ما أصطلح عليه إعلاميا بأحداث "الربيع العربي"، ولكن لتساءل هل يكون لهذا النداء صدى في العالم العربي أو إستجابة لعلماء الاجتماع العرب له إن سمحنا لأنفسنا تسميتهم بذلك، أما سيكون هذا النداء عبارة على صيحة في واد أو في بيدة واسعة لا رجوع لصدى فيها.

1- مشكلة البحث:

في الحقيقة لو تأملنا المسألة بعمق نجد أن المشكلة مرتبطة ارتباطاً أساسياً بنشأة علم الاجتماع نفسه وبالتكوين العلمي والفكري لرواده في العالم العربي، فبحكم أن علم الاجتماع الحديث هو ذو نشأة غربية، فهو عبارة عن مجموعة من المعلومات المنظمة والمنسقة وفقاً للأفكار والمعتقدات وللظروف الاجتماعية التي عايشها مؤسسي هذا العلم في العالم الغربي، لقد نظم الغربيون ونسقوا علومهم تحت ضغط إحتياجاتهم الاجتماعية والفكرية والعلمية والأيدولوجية، لذلك جاءت هذه العلوم محملة بتصورات الغربيين ومبادئهم، وليت المشكلة تنتهي عند هذا الحد، بل هي أكبر من تشبع هذه العلوم بالتصورات الغربية، فالمشكلة تتعدى ذلك إلى فساد هذه التصورات.

لذا يجب أن لا يغيب على بالنا أن المعرفة في علم الاجتماع تنبع أساساً من صيرورة تطور وتراكم وتغير شروط الواقع الاجتماعي الذي تحتم الدراسة العلمية الجادة إدراكه، لقد قال "إبن خلدون" قديماً: أن الجهل بطبائع العمران من الأسباب المؤدية إلى إرتكاب الأخطاء في فهم الأشياء والوقائع المحيطة بها، والأمر سيان فالباحثون العرب اليوم إن جهلوا بأجديات العمل العلمي وغفلوا عن معرفة الأحوال الخاصة بمجتمعاتهم، يجعلهم مغلقين على أنفسهم ومتقوقعين في قوالب نظرية جامدة أنتجها غيرنا ومعزولون ضمن أطهرهم الجامعية بعيدين على واقع الأمة وآلامها وآمالها.

ومن ثم فالأجدر بالعرب والمسلمين أن يفكروا ملياً في تحقيق إستقلالهم الفكري والعلمي وأن يكون لهم علم إجتمع خاص بهم، بإعتبار أن العلم الاجتماعي كعلم يُعنى بكشف السنن والقوانين النوعية للتطور الاجتماعي، وأيضاً فرصة للتعامل الصحيح في فهم الظواهر الاجتماعية وتحديد الأبعاد والمداخل والمجالات المؤثرة في البناء والتغيير والتجديد، ومن ثم فإنه من المفيد القول: إن فهم الواقع والتعرف على آليات التغيير والتجديد، مرهون إلى حدٍ بعيد بالوقوف وإكتشاف العوامل النفسية والاجتماعية لواقع المجتمعات العربية ذاتها، التي يمكن أن نطلق عليها "قوانين الإجتمع والعمران" على حد قول "إبن خلدون"، وكذا الإحاطة بالشروط والعوامل الفكرية المؤثرة فيها، إذ فهم الواقع والوقوف على سنن التغيير الاجتماعي، لا بد من دراسة معمقة للمسائل التالية:

أ- بُعد هذه الأمة الفكرية والعقائدي، الذي يشكل تصوراتها ونظرتها للحياة، والأمر يطرح علينا التساؤل التالي: كيف يمكن للعرب إستئناف دورهم في ظل هذا الوضع؟ وذلك بإدراك أهمية هذه المعارف، والإنطلاق صوب المستقبل لبناء علوم إجتماعية تؤصل وفقاً لعقيدة الأمة وأبعادها الثقافية الخاصة بها، بحيث تكون متميزة بنسقتها ومنطلقها وأهدافها.

ب- بُعد هذه الأمة الاجتماعي والتاريخي ووضعه في سياقه الطبيعي، من خلال السنن التي تحكم المجتمعات البشرية، لأنه علينا أن لا ننسى أن العلوم الاجتماعية والإنسانية للأسف نشأت في مناخ الإستعمار، وجاءت إستجابة لحاجات الدول الإستعمارية ومراكز صنع القرار فيها، ومن ثم تأسست هذه العلوم لتكريس الهيمنة الغربية على الدول العربية، والأمر يطرح التساؤل التالي: كيف يحقق العرب إستقلالهم العلمي والثقافي ويتخلصوا من هيمنة الآخر الذي سطا على التاريخ والثقافة وحتى أسلوبنا في التفكير، بما يجعلهم في الموقع المناسب لخدمة مجتمعاتهم؟

ومن خلال هذا الطرح يمكن لنا إشتقاق تساؤلات حول مشكلة الموضوع:

أ- إلى أي مدى يمكن للعرب في مواقعهم الحالية، التعامل مع هذه الأدوات دون الإخلال بخصوصيتهم الثقافية؟

ب- وهل العرب اليوم، في المستوى الذي يمتلكون فيه معايير وشروط التعامل مع منطلقات العلم الاجتماعي الغربي والإفادة منها لتأسيس نخبة عربية حقيقية؟

ج- وإلى أي مدى إلترزم المتخصصون في علم الإجتمع في الوطن العربي بقضايا البناء الاجتماعي للمجتمعات العربية؟

د- وهل أدى علم الاجتماع في الوطن العربي دوره المنوط به، أم أنه بقي أدراج الدراسات الأكاديمية البحتة كباقي العلوم الاجتماعية الأخرى؟

ونحن من جهتنا نأمل أن تكون لهذه التساؤلات السالفة الذكر مجالا يشحذ هم المتخصصين في علم الاجتماع في العالم العربي، ويتيح لهم فرص كبيرة للإبداع العلمي والبحث الجاد والتطوير العلمي، بما يخدم منظومة العالم العربي ويجعله في موقع محترم في هذا العالم، ويمكن في هذه الورقة أن أجيب قدر المستطاع على هذه التساؤلات من خلال التطرق إلى المحاور التالية:

2- ظروف وملامح الفكر الاجتماعي العربي المعاصر:

لقد كان من أهم ملامح الفكر العربي المعاصر وهو يبحث عن ذاته وهويته، أنه يتعايش مع الآخرين في وضع لا يحسد عليه، إذ يتفق الكثير من الملاحظين العرب أن المتعاطين للفكر في العالم العربي يعيشون حالة من الثنائية الإيديولوجية، فهم متجاذبون بين حركتين إما في حركة صدام ورفض لفكر الغير أو في ظل حركة قبول وخنوع للآخر، إلا أنه بدأت مؤخرا تتشكل حركة أخرى وسيطة تعمل على تبني موقف إصلاح (عبد المعطي، 1981)، إلا أنها لا زالت ضعيفة ولم تبرز قوتها بعد.

وكما أشرنا سابقا أن هيمنة الفكر الغربي لا تزال قائمة في البلاد العربية، بحكم ظروف الإستعمار وعمله على تكريس الهيمنة الثقافية والفكرية عليها، وقد أدى ذلك إلى تشويه صورة علم الاجتماع عندنا، وأنعدم تأثيره الإيجابي على مجتمعاتنا، بما يجعلنا نؤكد على أن هذا العلم يوظف في بلادنا بشكل سلبي، لأنه وبكل بساطة خلق هذا العلم وفقا لظروف ولقضايا مجتمع آخر غير المجتمع العربي والإسلامي. ويمكن رصد عدد من الملاحظات والإستخلاصات المفيدة تخص الظروف والملابسات التي عاشها العالم العربي بعد حركة الإستقلال الوطني، بما جعلها تدخل في نطاق الأوضاع التي أثرت سلبا على نشأة علم الاجتماع في الوطن العربي من بين هذه الملاحظات نجد مثلا (عبد المعطي، 1981):

أ- أن الإستعمار وما صاحبه من صور ودوائر للتبعية يكاد يكون قاعدة في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، حيث عمل على طبع العلوم الاجتماعية والإنسانية في هذه الديار بطابعه الفكري والإيديولوجي، بل وعمد إلى إغلاق كل المنافذ أمام إمكانية بلورة فكر عربي إسلامي مستقل في إطار هذه العلوم، وذلك بتحكمه في منظومة التربية والتعليم والبحث العلمي.

ب- خروج المجتمعات العربية جراء فترة إستعمارية - متفاوتة بين بلد عربي وآخر - وهي تعيش حالة من التمزق في بنيتها الاجتماعية وتشوها في بنيتها الإقتصادية، لم يترك لتلك المجتمعات الفرصة للنمو والتطور.

ج- هذا الواقع أرخى بظله على فاعلية الحركة العلمية في العالم العربي ومن ثم إنعكاسها سلبا على إنتاجية المتخصصين في علم الاجتماع وفي نوعية التفكير الاجتماعي نفسه في هذه البلاد.

د- هذا النوع من التشويه في الجوانب البنائية وفي نمط العلاقات الاجتماعية بين مكونات المجتمع العربي، أنتجت ظواهر مشوهة إنعكست على أساليب التفكير وطرق التربية والتعليم لدى الوسط الأكاديمي في جامعاتنا العربية.

كل هذه الظروف جعلت من المستعمر القديم يخدم مصالحه ويكرس هيمنته وتبعية البلدان العربية له، بل وتكريس واقع التفتيت والتقسيم لهذه البلدان، ليسهل عليه السيطرة وفرض واقع الأمر.

3- نشأة علم الاجتماع في الوطن العربي:

لقد مضى على نشأة علم الاجتماع في العالم العربي أكثر من سبعون سنة، مع بدايات حركة الإستقلال العربي، وقد كان أول مؤلف في علم الاجتماع للأستاذ "عبد العزيز عزت" تحت عنوان: "علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية" وذلك كان سنة 1949 كان يهدف من وراء هذا العمل التعريف بعلم الاجتماع وإبراز أهميته، ولقد سارع العلماء والباحثون في العالم العربي إلى إنشاء كليات للعلوم الإنسانية ومراكز للبحوث المختلفة، لكن جاءت هذه المؤسسات رهينة للمرجع والمنهج ولأدوات التحليل الغربية لفهم واقعنا المعاصر، دون التنبيه إلى الفوارق الجذرية بين المجتمعات العربية الإسلامية والمجتمعات الصناعية الغربية، الأمر الذي أدى إلى سوء الفهم لمشكلات وظواهر هذه المجتمعات (أمزيان، 1992).

ويمكن إعطاء أمثلة على نشأة علم الاجتماع في البلاد العربية، منها:

أ- نشأة علم الاجتماع في مصر: كان لحملة "نابليون" عام 1798 على مصر الأثر الكبير في إحداث تغييرات سياسية واجتماعية وثقافية، حيث صاحب هذه الحملة جملة من العلماء والباحثين بغية التعرف على المجتمع المصري، مما نقل كثير من المعارف والعلوم إلى مصر. وقد تأسست الجامعة المصرية عام 1908 وبالنسبة كان لهذا التاريخ فرصة لإلقاء أول محاضرة في علم الاجتماع، وكانت الفترة ما بين 1924 إلى 1936 فترة تحول وترسيخ لعلم اجتماع أكاديمي علمي بمصر، وبفعل تأثير "رفاعة الطهطاوي" وبسبب الإحتكاك بالغرب تفق إلى مصر كما من الأفكار الجديدة التي تحدت الأفكار التقليدية في مصر، وبعد تأسيس الجامعة الأمريكية بالقاهرة في منتصف العشرينات، شهدت مصر أول برنامج منظم في علم الاجتماع (خضر، 2010).

ب- نشأة علم الاجتماع في العراق: لقد تأسس أول قسم لعلم الاجتماع في العراق عام 1950، ولقد شد أزر هذا الصرح ثلة من المتحمسين العراقيين والأمليين لمؤهلات علمية، من بينهم: "علي الوردي" و"عبد الجليل الطاهر" و"حاتم الكعبي" و"شاكر مصطفى سليم"، عملوا على تخريج دفعات من طلبة علم الاجتماع، مثلوا الجيل الثاني لأساتذة علم الاجتماع في العراق (عبد الحسين، 2014).

ج- نشأة علم الاجتماع في المغرب العربي: إرتبطت نشأة علم الاجتماع بوجود المستعمر الفرنسي في بلاد المغرب الغربي بأطرافه الثلاثة: الجزائر وتونس والمغرب الأقصى، ولقد لاحظ "عبد الكبير الخطيبي" أن المعرفة السوسولوجية تطورت في مراحلها الأولى وفق أهداف الإحتلال الكولونيالي، إلا أنه وبعد حركة إستقلال هذه البلدان ظهرت حركة جديدة لعلم الاجتماع تقوم على فكرة التحرر والمقاومة، ومن ثم ظهرت أولى الدراسات الاجتماعية حول الآثار السلبية التي تركها المستعمر، سواء أكانت إجتماعية أو سياسية أو ثقافية (الزاهي، 2011)، والحقيقة تحمل بلاد المغرب العربي طاقات كبيرة في إطار الفكر الإجتماعي والأعمال النقدية وتحليلية لواقع ومشكلات هذه البلاد، فيمكن إعتبار "مالك بن نبي" الجزائري و"محمد الجابري" المغربي أبرز من يمثل الطاقات الجبارة لبلاد المغرب العربي، بما يحملانه من فكر أصيل وبناء وناقد لواقع الأمة العربية والإسلامية قاطبة، ومن بين أبرز هؤلاء الدارسين لهذه القضايا نجد عالم الاجتماع الجزائري "علي الكنز" حيث أكد بالقول: "إذا أردنا تقويم الممارسات السوسولوجية الحالية في بلادنا أمكننا وصفها بتبعيتها الأساسية للسوسولوجيا الغربية، وتأخذ هذه التبعية أشكال التكرار والتقليد، أكان هذا التقليد واع أو غير واع، ويواصل "الكنز" تحليله بالقول: "وأن النتائج التي توصلت إليها النظريات الغربية غير ملائمة لبيئتنا، كونها جردت من إطارها الإجتماعي والتاريخي وأنفصلت عن مسار تكوينها، بحكم أن النظريات الغربية قد نتجت عن مجتمعاتها وقضاياها الاجتماعية والتاريخية" (خضر، 2000).

ولقد لاحظ السيد زمام (2006) واقع علم الاجتماع في الجزائر على مستويين:

أ- من حيث علاقته بالمؤسسة الأكاديمية، بحكم أنه مجموعة من المسارات المعرفية والبحثية.

ب- ومن حيث علاقته بالمجتمع وقضاياه الحقيقية التي يفترض أن تشكل الأطر التي ينبغي أن ترتبط بالممارسة السوسولوجية.

كما لاحظ الطاهر الإبراهيمي (2006) أن علم الاجتماع في الجزائر أُنسم لفترة ما بعد الإستقلال إلى غاية بداية السبعينات بثنائية السياسي/السوسيولوجي، وهي مرحلة حسبه لا تزال إمتدادا لحالة الصراع مع الظاهرة الكولونيالية، ومن بقاء الجهاز الرسمي للدولة مهيمنة على العمل السوسيولوجي، لأنه كان يدرك الدور المهم لعلم الاجتماع في توعية المواطن وتجنيدده للعمل من أجل قضية التحرر من مخلفات الإستعمار.

4- الجهود الممهدة لنشأة علم الاجتماع في العالم العربي:

إن علم الاجتماع مدعو في البلاد العربية إلى الإرتباط الوظيفي بمسألة التحولات السياسية والتغيرات الاجتماعية الحاصلة في هذه البلاد، وذلك لكي يرسم رؤية جادة بخصوص التكوين المعرفي والبحث السوسيولوجي، ليتمكن من الدراسة الفعلية للواقع الاجتماعي المتدهور في أساسه.

أ- المحاولات الأولى في الكتابات الاجتماعية:

- وكانت من هذه المحاولات في العالم العربي والتي يمكن أن تدخل ضمن الدراسات الاجتماعية (الإبراهيمي، 2006) من بينها:
 - دراسة "قاسم أمين" حول "قضايا المرأة" ومسألة تحريرها في المجتمع، كمحاولة أولى للفت إنتباه العرب نحو التأكيد على دور المرأة الخطير في النهضة الاجتماعية المرتقبة.
 - كما كانت دراسة "أحمد فتحي زغلول" الذي أجراه عن مقارنة المجتمع الأنجلوسكسوني مع المجتمعات العربية، الذي دعا إلى تطوير البلاد العربية في المستويات العلمية والثقافية والتصنيعية والزراعية وغيرها، بغية تحقيق نهضة عربية.
 - ولقد أكد "مُجدد" الذي كان أول رئيس للمجمع العلمي في دمشق، على أن عملية التنوير وحدها غير كافية لإحراز التقدم ما لم يصاحبه نشاط علمي كثيف، وخروج العرب من حالة الخمول والتقاعس عن العمل والإبتكار والتطوير الإقتصادي والصناعي.
 - ولقد دعا في هذا الإطار السوري "بطرس البستاني" إلى عدم الإغترار بالمظاهر الكاذبة للمدنية الأوروبية وطالب بالدأب بدراسة العلوم التي وصلوا إليها وإنتقاء ما يلائم ثقافتنا وعاداتنا.
 - وقد حاول "أمين الريحاني" من جهته التأكيد على أهمية الإستفادة من التطور العلمي في الغرب، فحرص على حركة الترجمة والنقل لما توصل إليه العلم الغربي للإفادة منه في البلاد العربية.
- هذه كلها أمثلة من الرعيل الأول من المفكرين العرب، التي يمكن أن توضح لنا مدى إرتباط هؤلاء بالنموذج الغربي ومحاولة محاكاته، وذلك من خلال نزعة إنتقائية وتلفيقية شوهت المعطى الفكري للعرب، بما يؤكد لنا إرتباط المجتمعات العربية بمنتجات الفكر الغربي، نتيجة لإرتباط البعثات التعليمية والدراسية بالدول الأوروبية، والحقيقة ليس العيب هنا، وإنما العيب في نقلهم ومحاكاتهم وإغفال الخصائص النوعية لثقافتنا وبنيتنا الاجتماعية وبما يجعل حركة الفكر تخدم ما يلائم هذا الواقع.
- وربما يرجع الأمر إلى أن تلك المحاولات كانت كلها من رجالات غير متخصصين في علم الاجتماع، إضافة لبعض الملاحظات التي قدمها بعض المتخصصين في علم الاجتماع العرب من أمثال "عبد الباسط عبد المعطي" و "على عبد الواحد وافي" و "معن خليل عمر" وغيرهم، من أن العلوم الاجتماعية بجميع تخصصاتها وفروعها بقيت نتائجها وإستنتاجاتها محصورة ومقتصرة في المجتمع الأكاديمي والتعليمي، ولم تستطع أن تطرح نفسها كأداة علمية متخصصة في معالجة القضايا ومشاكل الإنسان العربي المعاصر، إن هذا العجز الملاحظ سواء من طرف المجتمع أو الباحثين المتخصصين في العلوم الاجتماعية يطرح علينا وقفة تقييمية لهذه الحالة، من أجل تحديد طبيعتها وتقديم الإجابات المحتملة لها.

ب- أولى الجهود في كتابات علم الاجتماع:

وكانت بعض الأعمال كمحاولات قدمها أصحابها تبدو في الظاهر أنها جادة، إلا أنها كانت أولى الجهود في التأليف بالعربية في مجال علم الاجتماع، أبرزها كان يتمثل في (عبد المعطي، 1981):

- كتاب "علم الاجتماع" لـ: "نقولا حداد": وقد عني هذا الكتاب الذي ألفه صاحبه سنة 1924 بشرح وتحليل الهيئة الاجتماعية ودورها وأهمية تطورها بما يفيد المجتمع ومكوناته، لقد لقي هذا الكتاب ترحيباً كبيراً وتشجيعاً من كثير من الكتاب داخل الوطن العربي، الأمر الذي يعكس موقف رجال الفكر في هذه البلاد من علم الاجتماع وأهمية إدخاله بغية تدريسه في جامعاتنا.

- لقد كتب "عيسى إسكندر": مثنياً لكتاب علم الاجتماع لـ: "نقولا حداد"، بإننا بحاجة كبيرة إلى معرفة أصول علم الاجتماع وتدرسه في جامعاتنا، فهو كتاب جاء ليسد الثلمة من هكذا علم التي نحن بحاجة إليه، حيث لاحظ أن هذا الكتاب أفادنا في البحث في العلل الاجتماعية ومنشأ علم الاجتماع وتبويه بأساليب متميزة وتقسيم معقول.

- كتابات "عبد العزيز عزت": من رواد علم الاجتماع في مصر، كتب عن "إبن خلدون" مقارنة بينه وبين "دوركايم"، كما كتب في العديد من فروع علم الاجتماع، أبرز كتبه كان كتاب "علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية" الذي ألفه سنة 1949، حاول من خلاله إبراز أهمية علم الاجتماع في فهم الظواهر الاجتماعية، والفروق بين علم الاجتماع وباقي العلوم الإنسانية الأخرى كعلم النفس وغيره.

- كتاب "أسس علم الاجتماع": لصاحبه "محمود عودة"، يرى البعض أن هذا الكتاب كان أول عمل متكامل من الناحية التخصصية، يشتمل على عدد من الموضوعات الخاصة بعلم الاجتماع، إلا أنه أخذ عليه ملاحظات، أبرزها تمثل في: تأثر صاحبه بالفلسفة الوضعية التي وضع خيوطها "أجوست كونت" وبالمدرسة الفرنسية التي أرسى معالمها "دوركايم"، إلا أن هذا الكتاب أعد لتعليم المبتدئين في علم الاجتماع، يشتمل على موضوعات عديدة رجع فيها المؤلف إلى عدد من المراجع الفرنسية والإنجليزية والأمريكية.

- كتابات "علي عبد الواحد وافي": كانت له موضوعات شتى إجتماعية وتاريخية وفي قضايا فكرية وفلسفية وقضايا الدين والثقافة والمجتمع.

- كما كانت جهود "السيد بدوي" المتمثلة في ترجمة كتابات علماء الاجتماع الفرنسيين، كما له كتب في الأخلاق والقانون والجريمة، هي جهود يشكر عليها.

- تأثر "مصطفیٰ لحشاش" هو الآخر بالمدرسة الفرنسية وكتب في النظريات الحديثة وفي علم الاجتماع التطبيقي، له كتاب "دعائم علم الاجتماع" الذي ألفه سنة 1955، كان يهدف إلى التعريف بعلم الاجتماع وأهميته، أشتمل الكتاب على أهم الترجمات للرواد الأوائل لعلماء الاجتماع الغربيين.

- ركز "حسن الساعاتي" في كتاباته في علم الاجتماع على الاتجاه الإمبريقي الكمي، وعلى الدراسات الاجتماعية التطبيقية المحلية. - وهناك مجموعة من علماء الاجتماع العرب الذين أهتموا بمسائل التنمية وقضايا التبعية منهم: "عبد المنعم شوقي" و"عمار ود" وغيرهم.

- كما كانت للعراقي: "علي الوردي" إسهامات في التأليف في علم الاجتماع، إلا أنها كما أخذ عليه أنها كانت ضمن التأليفات التي تدخل في نطاق الكتب الجامعية للتدريس.

- كتاب "إنجازات نظرية في علم الاجتماع": لصاحبه "عبد الباسط عبد المعطي"، حاول أن يقدم فيه لمحة عن النظرية الاجتماعية وموضوعاتها، وأن يصنف الاتجاهات الرئيسية في علم الاجتماع، محاولاً في الأخير إعطاء مقارنة لواقع علم الاجتماع في العالم العربي.

5- ميزة جهود الرواد المؤسسين لعلم الاجتماع في العالم العربي:

ويمكن في ضوء هذه الأعمال رصد الملاحظات التالية (عبد المعطي، 1981):

- أ- أن البدايات الأولى للمنتج السوسيولوجي العربي أتت على أيدي غير متخصصة في علم الاجتماع، فأغلبهم كان متخصصا في الفلسفة والقانون والاقتصاد والتاريخ، مما أثر على طبيعة تناول الدراسات الاجتماعية في العالم العربي.
- ب- مما جعل من هؤلاء ينسجون خيوط علم الاجتماع وفقا لخلفيتهم وتنشئتهم العلمية، وعليه ولدت أقسام علم الاجتماع في أغلب الجامعات العربية لصيقة بأقسام الفلسفة وعلم النفس والأدب وغيرها.
- ج- أغلب هؤلاء الذين تولوا تدريس علم الاجتماع في الجامعات العربية تلقوا تعليمهم بالدول الأوروبية كفرنسا وإنجلترا وأمريكا، مما أثر على مستويات تفكيرهم وطريقة تدريسهم، وهذا ما يفسر سطوة الأطروحات الغربية لعلم الاجتماع في العالم العربي.
- د- وهذا ما يعاب على هؤلاء المدرسين إذ أنهم لم يزيّدوا عن ترجمة كتابات علماء الاجتماع الغرب ونقله حرفيا إلى الطلبة العرب، ودون أن يبدعوا في إنتاج علم اجتماع ينطلق من خصائص المجتمع العربي وثقافته الخاصة .
- هـ- كل القضايا التي شغلت الرواد العرب في علم الاجتماع كانت متمثلة في إبراز طابع العلم وأهميته وضرورة التخصص فيه، دون إعطاء الدور الحقيقي لعلم الاجتماع في خدمة المجتمعات العربية إلا من بعض الدراسات المحدودة هنا أو هناك التي تمس جوهر القضايا والمشكلات للبلدان العربية، في جلها دراسات وصفية مجتزأة سطحية لا يعول عليها.

6- ملاحظات حول التناول المنهجي:

لقد لاحظ عبد الباسط عبد المعطي (1981) أن البحث السوسيولوجي في الوطن العربي يعاني بصفة عامة من مأزق منهجي يرتبط بالأساس بالتوجه النظري، وبطبيعة الموضوعات الجزئية المحدودة التي تناولها المتخصصون العرب في علم الاجتماع، وهذا راجع بالطبع إلى التنشئة العلمية التي تربى عليها النخبة من علماء الاجتماع العرب، فالمنهج الاجتماعي والثقافي العام بالبلاد العربية لا يزال سطحيًا وساذجًا، أين نجد التفكير الفج والتبسيط المخل والإزدواجية بين القول والعمل ملامح أساسية تؤثر بالضرورة على الباحث السوسيولوجي العربي، في هذا الإطار يمكن رصد الملاحظات التالية:

- أ- أن علم الاجتماع الذي دخل الوطن العربي ركز فيه الباحثون العرب على الجانب الأميريقي التجريبي الخبزي فقط، مسقطين من حسابهم عملية التنظير التي تدخل في محتواها، الأمر الذي أدى ذلك بعزل دراسة الظواهر الاجتماعية عن سياقها البنائي الاجتماعي، مما انعكس بشكل سلبي على عملية التخطيط للبحوث العلمية وعلى منهجية جمع المعطيات والبيانات. وفعلا هذا ما نلاحظه في كثير من البحوث في الجامعات العربية، فمن السهل أن نقرأ في أي مذكرة تخرج أو رسالة جامعية أو غيرها، لتجد أن البحث المتضمن في هذه المذكرة أو الرسالة جمعت له فكرة من هنا وأخرى من هناك، ويختار له عينة عشوائية من منطقة أختيرت بطريقة عمدية، وبتصميم إستمارة لا يعرف إذا ما كانت تتلاءم منهجيا مع موضوع البحث وأهدافه، ثم يستطرد صاحب هذا البحث في عرض جداول مملوءة بنسب مئوية، ليقوم بالتعليق عليها ثم الوصول إلى نتائج، لا يدري أن كانت دقيقة في نتائجها وصدقيتها أم لا.
- ب- ولو حظ أيضا أنه بسبب التناول الجزئيا للدراسات السوسيولوجية، أن أدى ذلك بعزل دراسة الظواهر الاجتماعية عن سياقها التاريخي الذي نشأت فيه هذه الظواهر، مما أفضى بإنسداد الأفق التاريخي في البحث السوسيولوجي عند العرب.
- ج- أن أبرز الدراسات في هذا المجال يلاحظ عليها أنها تفقد الصلة بين التنظير والعمل الميداني، وأنها تهتم بالوصف، دون الإهتمام بالتحليل والتفسير.

د- وأن جل الدراسات والبحوث العربية تهتم بظواهر الأشياء وشكلها دون الولوج في مضامينها، بحيث يكتفي الباحث العربي مثلاً في أغلب الأحيان بدراسة مظاهر السلوك والعلاقات دون سبر غور دوافع هذا السلوك أو تلك العلاقة.

7- واقع علم الاجتماع في العالم العربي:

يشهد على الواقع المؤلم لعلم الاجتماع في بلادنا العربية نخبة من علماء الاجتماع العرب من بينهم الأستاذ "علي الكنز" الذي يعتقد أن: تاريخ العلوم الاجتماعية في البلدان العربية قد عرف تطوراً مختلفاً كل الاختلاف إذ عملت وبعد أن حازت على استقلالها على تشييد جامعات حديثة نظمتها على صورة النموذج الغربي، ووجد علماء الاجتماع أنفسهم أمام تأخر كبير في التحصيل العلمي، إلا أنهم تعمّدوا إنتهاج طريق نقل المعرفة الغربية التي صاغها الغرب وفقاً لطبيعة مجتمعاتهم وثقافتهم، وهذا شكل معضلة لمجتمعاتنا، بحكم أن الغرب بنى معارفه في ضوء واقعه المحلي (خضر، 2000)، وقد طرح الأستاذ "سعد الدين إبراهيم" تساؤلاً مفاده: "هل يستطيع الوطن العربي أن يعيش ويزدهر بدون علماء إجتمع؟ فكانت إجابته للأسف مؤلمة إزاء هذا الواقع الذي يعيشه علم الاجتماع عندنا، وأكد فيما سماه "بالضمير السوسولوجي" بالقول: أن مجتمعنا يستطيع أن يعيش ويتقدم بدون علماء الاجتماع العرب، وقد خلص إلى أن هناك فئات عديدة لا يستطيع المجتمع أن يعيش بدونها أهمها: المهندسون والأطباء والعلماء وخبراء التكنولوجيا والاقتصاد... أما علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا والنفس والسياسة وفئات أخرى عديدة فيمكن للمجتمع أن يعيش ويتقدم بغيرها (خضر، 2010).

ولسعد الدين إبراهيم إعتراقات في هذا الموضوع نجملها في الآتي (خضر، 2010):

- أ- أنه منذ الحرب العالمية الأولى وإستقلال الدول العربية لم تظهر مساهمة علمية يعتد بها في الوطن العربي.
- ب- وأن المتخصصين في علم الاجتماع لم يساهموا بالقدر الكافي أو الدرجة المطلوبة في صياغة مشكلات المجتمع العربي وتفسيرها أو في إقتراح الحلول المطلوبة لهذه المشكلات.
- ج- وأن المعرفة التي أنتجها علماء الاجتماع معرفة هزيلة، وأن وجودهم هامشي وتأثيرهم على المجتمع محدود، أما المعرفة التي يجدها الناس في الكتابات الصحفية والأدبية أو في أعمال بعض المشتغلين بالتاريخ والجغرافيا أو الفلسفة، قد لا تكون هذه المعرفة بالضرورة دقيقة وعميقة لكنها على الأقل متوفرة ومفهومة.
- د- كما أنه ينذر أن يأتي المتخصص في علم الاجتماع بمحض أرائته ورغبته وإنما غالباً ما يأتي الطلاب إلى علم الاجتماع بمحض الصدفة أو لعدم وجود بديل أفضل.
- كما لاحظ سعد الدين إبراهيم بالنسبة للمؤلفات العربية في علم الاجتماع، أنه نادراً ما يجد طالب المعرفة إنتاجاً سوسولوجياً عربياً يطفى ظمأ لفهم الواقع العربي المعاصر بصورة منضبطة أو موضوعية أو شاملة أو حتى جزئية، فأكثر من ثمانين بالمائة من إنتاج أساتذة الاجتماع يكاد ينصرف كلية في الكتب المدرسية التي تحاول أن تعلم الطلاب مبادئ العلم وفروعه ونظرياته وتاريخه، لكنها أي هذه الكتب المدرسية مليئة بالعيوب والثغرات أهمها أنها (خضر، 2010):
- أ- تضخم الوعود بقدرات علم الاجتماع على فهم الواقع والتعامل الفاعل مع المشكلات الاجتماعية.
- ب- تعتمد اعتماداً شديداً على مصادر المعرفة الأجنبية والترجمة المباشرة.
- ج- تتسم بالتعقيد اللغوي والنظري عند طرحها لمفاهيم ومقولات علم الاجتماع، إما للإيجاء بجهيزة فكرية أو في الغالب لعدم الفهم والإستيعاب لما يتم نقله من مصادر أجنبية.
- د- ينذر أن تجد في هذه الكتب ما يعبر عن الواقع العربي قسطاً أو قومياً، بالإضافة إلى سطحية وتحيزية القليل النادر الذي يرد فيها عن الواقع العربي وعدم إستناده إلى قاعدة صلبة من المعلومات.

ويرى سعد الدين إبراهيم أن المشتغلين بعلم الاجتماع في مصر لا يشكلون مجتمعا مهنيا حقيقيا، وإنما هم جماعات ومصالح وعُصَب تتصارع مع بعضها، ويسيطر أحدها على الآخر، وأنهم قد قسموا أنفسهم أسماء ومسميات مختلفة فهناك النظريون وهناك التطبيقيون وهناك الماركسيون والوظيفيون وهناك أتباع المدرسة الإنجليزية أو المدرسة الأمريكية أو الفرنسية الخ (خضر، 2010).

ويتفق الكثيرون مع موقف "سعد الدين إبراهيم" في ملاحظاته هذه، منهم "جلال أمين" الأستاذ بالجامعة الأمريكية، له موقف خاص من الباحثين الاجتماعيين، وقد وجه إليهم عدة انتقادات، يمكن إجمالها فيما يلي (خضر، 2010):

أ- أن دراساتهم تنفجر إلى الابتكار الحقيقي، سواء أكان هذا الابتكار متعلقا بإيجاد منهج جديد في البحث أو بإثارة الشك في بعض المسلمات، أو بتقديم تفسير جديد لظاهرة اجتماعية معقدة.

ب- أنهم مهزومون نفسيا، خاضعون ومبجلون لكل منجزات الأجنبي، بحيث سهل على هذا الأجنبي أن يبيع بضاعته المادية والفكرية على أنها نتاج إنساني عام، وأنها ثمرة التقدم التكنولوجي والمادي الذي لا ينسب لحضارة دون أخرى، وهذا الأجنبي يكون قد أخفى تحيزاته وميوله التي تطبع نتاجه الفكري والمادي، وللأسف تقبل الباحثون العرب هذه النظريات دون مساءلة، وافتتنوا بها كما افتتن المستهلك العادي بالكفاءة التكنولوجية لمنتجات الغرب، دون أن ينظر في مدى ملاءمة النظرية أو السلعة لمناخ اجتماعي وثقافي مختلف تماما عن المناخ الذي أبدع تلك النظرية أو تلك السلعة.

ج- أنهم تابعون في مختلف جوانب حياتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، فالدراسات الاجتماعية في مصر تهتم بقضايا نظرية أو تطبيقية ذات أهمية فقط في البلاد التي نشأت فيها وليس في مصر، نقلها هؤلاء الباحثون دون إعمال الفكر في مدى انطباقها أو ملاءمتها لمجتمعنا، ودون محاولة جدية في التحفظ على ما تحمله من أفكار.

د- أن كتاباتهم تتميز بالتبعية في لغة التعبير مع ميلهم إلى إقحام الألفاظ الأجنبية في هذه الكتابات كدليل على سعة العلم وتنوع الثقافة، وبالرغم من ذلك فإنها كتابات ركيكة الأسلوب وهي في نفس الوقت أكثر غموضا وتخبطا وتناقضا.

وهناك علماء إجتماع آخرين فقد أقرؤا (خضر، 2010):

أ- بأن رجال الإجتماع العرب يتبنون إتجاهات تتأرجح بين إتجاه الصراع أو الإتجاه الوظيفي في النظرية الإجتماعية ، ينقلون أفكارها ويعرفون تماما أن دورهم هو دور النادل الذي يقدم الطعام دون أن تكون له أية مسؤولية في إعدادة، فهم لم يشاركوا في صياغة هذه النظريات التي يرددونها بشكل آلي.

ب- كما أقرؤا بأن تدريس علم الإجتماع لا يعد ضرورة من ضرورات المعرفة والواقع، وأنه لو ألغى هذا الإختصاص من جامعاتنا فإن غيابة لن يكون نقصا ولا تخلفا معرفيا.

ج- وأقرؤا أيضا بأن النزعة العلمية في علم الإجتماع نزعة مزيفة وأن الشروط التي حددها العلماء في أي معرفة لكي تكون علما لا تتوافر في علم الإجتماع.

د- وأكد البعض منهم على نظرة "جاك بيرك" بأن علم الإجتماع علم إستعماري بطبيعته، وأنه على صلة وثيقة بأعمال المخبرات، وأنه أعد بحثا وتدرسا ليكون عقل رجال الإجتماع العرب تابعا للعقل السوسيولوجي الغربي، سواء في منهجية التفكير أو تصور مهام علم الإجتماع، وأنه حينما رحل الإستعمار عن العالم العربي ترك وراءه من الترتيبات المؤسسية والفكرية ما يعيد سيطرته وهيمنته والتبعية له.

هـ- وأقرؤا بأن رجال الإجتماع العرب يعانون من عدم وضوح الرؤية في النظرية وفي البحث الإجتماعي، وأنهم يميلون في معظم الأحيان إلى نقل كل ما يطرح في المجتمعات الغربية دون التوصل إلى نظرية للمجتمع العربي وان إشكاليات بحوثهم لا تمت بصلة إلى الواقع المجتمعي العربي.

ومن الناحية المنهجية لم يسلم البحث الاجتماعي والمؤسسات البحثية من الانتقادات رجال الاجتماع عامة والعاملين منهم في هذه المؤسسات خاصة، وقد وجه الأكاديميون والعاملون في مراكز البحوث انتقادات لا تقل حدة عن سابقتها إلى البحث الاجتماعي ومؤسساته، (عبد المعطي، 1981) يمكن إيجازها فيما يلي:

أ- تأسست معظم مؤسسات البحث الاجتماعي في العالم العربي بدون هدف واضح عام، ونظمت بطريقة قاصرة ولا تستقطب إلا القليل من العناصر القادرة على العطاء، كما يستغل جهد الباحثين فيها بطريقة عاجزة معيبة، ولهذا نجدها لم تنجح في تناول القضايا الحيوية في المجتمع العربي بالتحليل، بل ولم توفق في دراسة ما عرضت له من موضوعات.

ب- البحوث الاجتماعية معظمها مبعثرة وغير هادفة، وغير متكاملة مع قطاعات الإنتاج والخدمات والسياسة والثقافة والتعليم، فهي لا تستمد المشكلات البحثية من هذه القطاعات، ولا تفيد في ترشيد أي قرارات ولا تلعب دورا في تكوين وعي اجتماعي على أساس علمي، وهي غير موجهة لمشكلات الجماهير ولا تهدف إلى مخاطبتها لأنها تكتب بلغة الخاصة، لغة المفهومات والمصطلحات الغامضة، التي لا تمت بأي صلة إلى واقع هذه الجماهير وخصائصها، بالإضافة إلى أنها تتناول القضايا بعد حدوثها، ولهذا قلما يكون لنتائج هذه البحوث الدور الفعال في التخطيط للتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

ج- المشكلات الاجتماعية التي تتناولها هذه البحوث تتبنى مفاهيم تجمدت أصلا في المجتمعات الغربية، حاول الباحثون العرب أن يجدوا لها تطبيقات عربية، وتقوم أساسا على إختيار فكرة من هنا ومن هناك، ثم إختيار عينة عشوائية عمدية في معظم الأحيان ثم تصميم إستمارة بغض النظر عن ملاءمتها أو عدم ملاءمتها لموضوع البحث، وتخرج بيانات من صنع صاحبها يصيغها ليحاصر بها المبحوث فيجيب إجابات يريدها الباحث إما بنعم أو بلا.

د- المداخل المنهجية المستخدمة في البحوث الاجتماعية قاصرة وتستخدم أساليب بحث وأدوات لجمع المعلومات معيبة وهي أصلا مستوردة من سياق حضاري مختلف.

8- دراسات في كشف عيوب البحث الاجتماعي في العالم العربي:

في هذا الإطار قال "علي الكنز": "أن إيجابياتنا تجاه النظريات السوسولوجية الغربية جعلتنا نتقن التعليم، إلا أنها لم تعطنا الأدوات اللازمة لمعالجة قضايا واقعنا الذي يختلف في تكوينه عن واقع المجتمعات الغربية، لذا تبقى أغلبية الأبحاث عقيمة، إذ تؤدي في أحسن الحالات إلى تجميع معلومات تجريبية يعاد تركيبها في إشكالات مصطنعة لا تلائم الواقع" (مسالك أمنية، 2009)، وينظر "أحمد إبراهيم خضر" (2010) لدور علم الاجتماع في العالم العربي بصورة قائمة، إذ يقول: "ومع مرور الزمن سقط هذا التصور إلى الحد الذي وصل بأحد أساتذة علم الاجتماع إلى الإقرار بأن علم الاجتماع ما هو إلا "شعوذة الأزمنة الحديثة"، ودعا زملاءه إلى الحد من الإنهار الساذج والتوكل الكلي على علم الاجتماع كمواقف تجعل منه عصا سحرية علمية"، وأنه قد: توالى بعد ذلك إعتراقات رجال الاجتماع سواء في مصر أو العالم العربي لينتهوا إلى الإقرار بحقيقة قاسية، مفادها: أن علم الاجتماع ما هو إلا علم هامشي هزيل لا يريعه ولا يشعر به إلا أتباعه ومريدوه وأصحاب المصالح الحيوية فيه، وأنه لم يساهم في صياغة مشكلة واحدة ولا تفسيرها ولا في إقتراح حلّ لها، وأن طالب المعرفة عن واقع المجتمع يجدها في أي كتابات أخرى إلا كتابات علم الاجتماع، التي تتميز بالتخلف والسوء والخلط والإضطراب والنقل من مجتمعات أخرى، وأن رجال الاجتماع لا ينتجون علما حقيقيا، وإنما يستوردون ويستهلكون بدون تبصر ويخلطون في ذلك بين ما يمكن أن يفيد وما لا غناء فيه، ليست لهم مصداقية أو فاعلية، وأنهم مجرد جماعات مصالح وعصب متصارعة متحاربة، يعيشون في بلادهم بأجسامهم، أما أفكارهم وفهمهم وتطلعاتهم ونظرتهم إلى الحياة فهي مع الخارج، ولا تنتهي أزمته إلى هذا الحد، بل تتعدى ذلك إلى تركيبتهم النفسية التي تميل إلى تحقير تراثهم العربي والإسلامي، لأنه في نظرهم لا يتماشى مع قضايا الحياة العصرية.

وفي دراسة لكل من جهينة سلطان العيسى والسيد الحسيني (1982) حول تصورات علماء الاجتماع العرب ومدى إسهامهم في إنتاجيتهم النظرية، تبين لهما أن الغالبية من المشتغلين بعلم الاجتماع في الوطن العربي نسب إنتاجيتهم المعرفية قليلة، وأن المقاربات النظرية التي يتناولها أغلب هؤلاء الباحثين لا تخرج عن الإتجاهين المتعارف عليهما في الدراسات السوسيولوجية وهما الإتجاه الوظيفي والإتجاه الماركسي، وقد خلصت دراستهما إلى النتائج التالية:

أ- لم يستطع الباحث الاجتماعي تقديم تفسير للظواهر المستجدة والناجمة عن التطور المادي والإقتصادي والغير مقترنة بتغير في السلوك الاجتماعي والثقافي.

ب- عجزه عن إعطاء تفسيرات لحالة الإغتراب التي يعانيها المواطن بشكل أبعد عن أداء دوره في المجتمع.

ج- عجزه عن فهم وتفسير الظواهر السلطوية والممارسات السياسية التي تميزت بغياب الديمقراطية وسكوت المواطن عن حقوقه المدنية.

د- عجزه عن القيام بدوره الريادي في تنمية مجتمعه، والمساهمة في إخراجها من دائرة التخلف الاجتماعي والسياسي.

- ويؤكد "دياب" (1990) في معرض حديثه بخصوص دراسته عن الخطاب السوسيولوجي في الجزائر، أن الفعل السوسيولوجي في منطقتنا العربية يتأخر عن مجمل أفعال التغير الاجتماعي الجارية، ويقصد بذلك أن كل إجراءات التنمية وتحديث البنى الاجتماعية والإقتصادية القائمة في العالم العربي، هي أسبق من الدراسات والبحوث السوسيولوجية، وهذا ما يؤكد على الإتجاه السائد الذي مفاده أن مهمة العمل السوسيولوجي هي لاحقة للفعل السياسي، وليس مقرا معه وفاعلا في وضع مخطط العمل الاجتماعي.

- ويرى "معتوق" (1999/1998) أن علم الاجتماع هو علم مغترب في العالم العربي، وأكد على التحيز الإيديولوجي للمشتغلين بعلم الاجتماع في هذه البلاد، من خلال دأبهم على إعادة إنتاج النظريات الغربية على حساب واقع مجتمعاتهم، وأنطلق في دراسته من السؤال المحوري التالي: هل هناك علم إجتماع عربي، وإذا كان هناك علم، فما هي حدوده وإنجازاته، وإن لم يكن هناك علم ما هي الأسباب؟ وخرج للأسف بالنتائج التالية:

- تأثر وضعية علم الاجتماع داخل البلدان المغاربية بظروف المعيشة للمشتغلين بهذا العلم.

- تفسر وضعية هذا العلم بغياب الأنساق المعرفية اللازمة لبناء التركيبة العلمية لفهم الواقع.

- تأثر وضعية هذا العلم بالقيمة والمكانة التي يتمتع بها المشتغلين به.

- تتميز وضعية علم الاجتماع والمشتغلين به بغياب الإتصال وتبادل الخبرات بينهم، والإكتفاء بالإستيراد الكلي للمنتوج الغربي.

- كما لاحظ غياب الطلب على الخدمة السوسيولوجية داخل البلدان المغاربية، والسبب كما يرى راجع إلى إنعدام العرض من قبل المشتغلين بهذا العلم.

- ويعتقد "العياشي عنصر" (1999، 63-65) أن علم الاجتماع في البلاد العربية تتحكم فيه عوامل عديدة أبرزها:

أ- السيطرة السياسية على مجالات البحث العلمي، الشيء الذي يعرض النخبة المثقفة إلى تقييد عملهم أو تحييده في خدمة التنمية.

ب- نقص التأهيل في الكادر التعليمي، ويظهر ذلك من خلال ضعف التكوين في مجال المادة العلمية، وفي مستوى التحكم في المفاهيم والمصطلحات العلمية وإستخدامها لدى الأستاذ الجامعي.

ج- تدني مستوى الطلبة المتخرجين، وضعف تحصيلهم للمعارف العلمية في التخصص.

د- فقدان الجامعة ومنظومة التعليم العالي لمصداقيتها.

هـ- إهمال البحث العلمي وتهميشه، وذلك لإنعدام سياسة واضحة في هذا الميدان، وضعف الوسائل والإمكانات، أو غياب هياكل بحث مرنة ومستقلة.

ويقر "عبد القادر عرابي" أنه: "لا يخفى على العاملين في الحقل الاجتماعي أن علم الاجتماع العربي كان ومازال دون آفاق مجتمعية، مازال غريباً وبعيداً عن المجتمع، لأنه لم يلد من رحم هذا المجتمع ولم تُصَلب عُودُه الثقافة العربية، ولم تكن هويته الفكرية" (باقادر، عرابي، 2006)، ويرى "هشام جعيط" (2001) أنه في الوقت الذي يرتبط فيه المفكرون الأوروبيون بترائهم، نجد أن المفكرين العرب قد هجروا تراثهم، وينتقد كل من "علي حرب" (1996) و"عبد الإله بلقزيز" (2000) من أن المفكرين العرب أصبحوا جُذُ مُسيسين، وهذا بدلا من أن يكونوا مفكرين نقديين مرتبطين بالوسط الأكاديمي.

وعليه يمكن التصريح أن سوسيولوجيا المجتمعات العربية عجزت عن إنتاج نظرية واحدة للعالم الاجتماعي، وبقت هذه السوسيولوجيا تنظر دائما بعيون غريبة، وبيرواديجمات بناها فاعلون ينتمون إلى واقع مختلف عنا وعن واقعنا، ولقد تساءل أحدهم ما الذي يجعل واحد مثل "بيير بورديو" بمفرده يفعل بواقعه الفرنسي فيشرحه فهما وتفسيرا، ما لم يستطعه الجماعة العلمية العربية مجتمعة أن تفعله، ويمكن أيضا التصريح بأن أدواتنا المعرفية والبحثية عجزت عن ملاحظة واقعنا الاجتماعي ودراسته وفهمه، إننا حقيقة في حاجة ماسة إلى سوسيولوجيا جديدة تستطيع أن تدرس المنعطفات الكبرى والظواهر القصوى، فترفع أصوات علماء الاجتماع العرب من أجل المجتمع (حنفي، مجاهدي، 2014).

9- الدور المنوط بعلم الاجتماع في الوطن العربي:

ليس علم الاجتماع مادة دراسية معزولة عن الواقع، تقدم ضمن المساقات المعرفية المقررة على الطالب، فهو نظام معرفي من طبيعة متميزة، لذلك فإن الإشتغال به في البحث والتكوين، يستوجب مراعاة تلك الطبيعة في جانب أصالتها النظرية من جهة وعلاقتها بالواقع المدروس من جهة ثانية (الإبراهيمي، 2006)، ويجمع أغلب الدارسين لعلم الاجتماع في الوطن العربي، أن هناك أزمة ثقة بين العلوم الاجتماعية والمؤسسات الرسمية في هذه البلاد، ويرجع البعض سبب ذلك إلى عدم إكتشاف الجهات الرسمية لأهمية الدراسات والبحوث الاجتماعية في ميدان التخطيط الاجتماعي والإقتصادي، أو لجهل الجهات للدور الذي يمكن أن يلعبه علم الاجتماع في التأثير على التحولات الجارية في المجتمع، بل تحاول هذه الجهات الإستفادة من الفرص التي تتيحها دراسات العلوم الاجتماعية في ترسيخ وتكريس هيمنة النخب الحاكمة واستمرارها في إعادة إنتاج المنظومة السياسية الحاكمة (الجراد، 1998)، ومن ثم على علماء الاجتماع العرب أن يلعبوا دورهم المنوط بهم نحو مجتمعاتهم، وإن لزم إزعاج الجهات المتمردة في الأوساط الاجتماعية العربية وكشف آليات الهيمنة التي غالبا ما تلجأ إليها لتكريس تسلطها، وهذا يحتاج من المعنيين بالمعارف الاجتماعية من صياغة لسوسيولوجيا مناضلة ضد كل محاولات إعاقاة بلورة لعلم اجتماع عربي متمكن من فهم القضايا العربية ووضع الحلول لها (حنفي، مجاهدي، 2014).

ولقد تم رصد جملة من الملاحظات يمكن أن تجربنا لمعرفة الدور الحقيقي المقدم لعلم الاجتماع في الوطن العربي، لنعرف إلى أي مدى كان لعلم الاجتماع الدور الفاعل في البلاد العربية أم أنه مجرد تخصص علمي أدخل إلى جامعاتنا وكفى ؟ يمكن إجمال هذه الملاحظات في التالي (رميته، 2012):

- أ- أن جل الدراسات الاجتماعية التي تمت في العالم العربي كانت مجرد تزييف واقع المجتمع العربي ووعي الناس فيه.
- ب- أن تبعية علم الاجتماع في جامعاتنا لمعارف ومنهجية علم الاجتماع الغربي، أفضت إلا هزال أدوار هذا العلم وإنحساره في العالم العربي، إلا في مجالات التدريس خلف أسوار الجامعة فقط، دون القيام بدوره المجتمعي والحضاري الذي كان مرتقب منه، بأن يخصص لدراسة الواقع والمساهمة في إنضاج وعي المواطن العربي، للمساهمة في التخطيط والتنمية المجتمعية.

ج- لوحظ أن كل الموضوعات التي تطرق إليها الباحثون العرب، تتباعد عن المسائل الهامة والمصيرية للعرب والمسلمين، مثل قضايا الوحدة العربية والتنمية الشاملة والأمن الجماعي، يقول في هذا "عبد الباسط عبد المعطي": "لقد أفضت سطوة الفكر الوظيفي والوضعي وغيرهما من الإتجاهات المحافظة إلى إغفال دراسة وفهم حتى الظواهر البديهية البادية للعيان كمسائل التغير الاجتماعي، لقد إنتقلت أزمة الفكر الغربي إلينا دون أن نصنعها ومع هذا قبلناها ونعمل بما" (عبد المعطي، 1981).

د- كما لوحظ أن رجال الاجتماع لا ينتجون علما حقيقيا، وإنما يستوردون ويستهلكون بدون تبصر ويخلطون في ذلك بين ما يمكن أن يفيد وما لا غناء فيه، وفي أغلبه ليس فيه فاعلية.

10- الموقف الإستمولوجي من علم الاجتماع:

لا شك وبعد التعرف على مستوى الدور الذي يلعبه علم الاجتماع في وطننا العربي، فإن التطرق إلى كشف مواقفنا العلمية والمعرفية في علم الاجتماع ليست بالمهمة السهلة، وبخاصة في مجال النقد الاجتماعي والكشف على النقائص التي تنتاب التحليل السوسيولوجي، بحكم أن ذلك يتطلب إلماما واسعا ومتعمقا لكل جوانب التراث النظري في فلسفة المعرفة عامة وعلم الاجتماع خاصة قديمه وحديثه ومعاصره، وربما الذي يزيد من صعوبة المهمة هو أن جل محاولات الباحثين العرب في الدراسات السوسيولوجية تتركز في أغلبها على مجرد نقل محاولات التنظير في علم الاجتماع أو ترجمتها من لغاتها الأصلية، وفي أحسن الأحوال أن يقوم البعض بعرض حسن للنظرية الاجتماعية أو تصنيفها وترتيبها، وكلها لا تعدو أن تكون إلا محاولات شكلية ومتردة تعوزها الشجاعة الأدبية والعلمية، إلا أنه إذا كانت عندنا إرادة قوية للتطرق إلى ذلك، أمكن من وضع أسس جديدة للنظرية الاجتماعية تقدم أفق جديد في التطرق للواقع الاجتماعي، الذي تميزه الأزمة الحضارية المعاصرة في جميع ميادين الحياة، ولكي نتمكن من ذلك علينا القيام بعمل نقدي للمعرفة السوسيولوجية ذاتها، وأن نعرف على مستقبل معرفتنا الاجتماعية وإستراتيجيتها البحثية بما فيها من مقاربات ومفاهيم، بحكم أن طرائق التفكير الغربية جاءت وليدة لواقعهم مختلف عنا اجتماعيا وإقتصاديا وسياسيا، وإلا فإنه سيقلل من نجاعتها النظرية والمنهجية حين تطبيقها على واقعنا العربي (حنفي، مجاهدي، 2014).

ينبغي أن نشير إلى أن الفكر الغربي نشأ للأسف على مجموعة من الإلتخالات، وأن مفكره توهوا أن يعيشوا حالة من التجرد العلمي وعلى الدقة والموضوعية، إلا أنه كما يقول "محمد قطب" غفل الفكر الغربي على أنه دخل الساحة العلمية بمقررات مسبقة، تؤثر بوعي أو بغير وعي في طريقة تناوله للموضوع، وفي النتائج التي يستخلصها من بحثه، هذه المقررات هي إبعاد الدين وكل ما له علاقة به على مجريات البحث العلمي، وكان ذلك نابعا من تأثيرين في أن واحد، التأثير الأول: هو رد الفعل الذي قام ضد الدين والكنيسة، والثاني: هو تأثير الفلسفة الإغريقية في هذا الشأن" (قطب، 1998)، فهي كعوامل فكرية وتاريخية أدت حقيقة إلى مأزق النظرية الاجتماعية الغربية. حقيقة لقد نشأت العلوم الاجتماعية في الغرب وترعرعت في ظل هذا الوضع، ما أنتج فهما خاطئا لحقيقة الإنسان نفسه، حيث يرى الفكر الغربي أن الإنسان ما هو إلا حيوان متطور ولا يميزه إلا العقل الذي يفكر به، ورغم إعترااف مفكري الغرب بهذا العنصر الهام إلا أنه بقي يصر على إستبعاد تفكيره ومعارفه عن الله؛ على أساس أن الإنسان أحتاج إلى الله لما كان في الحقب الأولى من نشأته، إذ كان ضعيفا في حاجة ماسة إلى العالم الغيبي اللاهوتي، حتى يجد لنفسه تفسيراً للظواهر الطبيعية التي تحدث أمامه، فلما تطور وأستطاع بفضل العلوم التقنية التي سيطر بها على الحياة وأخضعها لنزواته أعتقد أنه لم يعد في حاجة إلى الله.

ولقد أشار "محمد عاطف غيث" (عبد المعطي، 1981) في معرض نقده لعلم الاجتماع أنه قد: آن لنا الأوان أن نتساءل بعد التغييرات البنائية التي حدثت في مجتمعاتنا العربية، هل يظل علم الاجتماع بصورته وهيئته الحالية كما وردت إلينا من الغرب وأن نبقي عليه كأداة إنهمامية؟ أم يجب علينا أن نهاجمه بغية تغيير نهجه وأفكاره وفلسفته التي صاغها رواد علم الاجتماع الغربيين ؟ لقد تأكد لنا أن كل ما يأتينا

من الغرب ليس كلاماً نهائياً له طابع المسلمات، بل يجب أن تكون لدينا القدرة الخلاقة والشجاعة على النقد البناء، بل علينا أن نهدم البناء القديم فقد مقومات حياته، وأن نقيم ببدله ناءاً جديداً يعبر عن الطابع الجديد لمجتمعاتنا العربية، والمعنى الذي قصده "مُجد عاطف غيث" أنه علينا أن لا نبقي علم الاجتماع أداة تكرر سيطرة الغرب علينا وتستبقي هيمنته لنا.

11- جهود لصياغة علم اجتماع عربي:

لقد كانت هناك جهود متفرقة حول الملامح العامة لعلم اجتماع عربي، لكنها جميعاً كانت جزئية وإنطباعية، وكلها للأسف كانت في أحسن الأحوال في طريق السرد التاريخي لنشأة علم الاجتماع وتطوره وأنها لا تزال في طور الأفكار والملاحظات، بحيث لم ترق بعد إلى بلورة النسق المعرفي المتكامل في هذا الشأن، ولو لا المحاولة التي قدمها "إبن خلدون" بخصوص مقترحه حول "علم العمران والإجماع البشري" لقلنا أن الأمة العربية والإسلامية أمة عقيمة، ما يمكن قوله أن المنتج المعاصر للعرب في علم الإجماع يعد ضحلاً جداً، إلا من بعض النظرات والمحاولات البائسة التي لم تستطع تأصيل الموضوع .

وقد تنوعت وجهات النظر عند المتخصصين العرب بين من يدعو إلى صيغة علم اجتماع عربي وبين من يدعو إلى علم اجتماع إسلامي، ويمكن القول أن أغلب المحاولات التي قام بها الباحثون العرب لا تعدو أن تكون ردود فعل أو في أحسن الأحوال كان فكر وثقافة دفاعية ليس إلا، وهذا في إطار حماية الذات أو ثمرة للإستفزاز والتحدي الثقافي، دون القدرة على التوغل في البحث العلمي الجاد وإعطاء البديل العلمي للمنتج الغربي، لذلك جاء عطاء الباحثين العرب عبارة عن نظرات وتأملات مبعثرة هنا وهناك، وهناك مجموعة من المحاولات والمقترحات ليس إلا، التي طرحها بعض المتخصصين العرب، في إطار محاولات صياغة نظرية اجتماعية بخصائص عربية، منها:

- حيث طرح "أحمد الخشاب" (1981، 8-10) مجموعة من القضايا المهمة، أبرزها:

أ- أن تنطلق نظريتنا الاجتماعية من المبادئ والأسس الفكرية والعقدية للأمة العربية.

ب- أن تعمل على تقويض الوضعية المعيقة، والتي كثيراً ما تكون وراء كل الإنتكسات والخيبات التي هي وراء الهزائم المتكرر لدى العرب.

ج- أن تراعي خصوصية المجتمع العربي الثقافية ومواقفه الاجتماعية العامة.

د- أن تستخلص تجربة العرب التاريخية، وأن تحدد مستويات تطلعاتهم وآمالهم وأهدافهم القومية وأن تضع مخططاً لمستقبلهم ، ليضع الأساس الأول لنهضة عربية شاملة.

- كما رأى "مُجد عاطف غيث" (عبد المعطي، 1981) أنه من الضروري قيام علم اجتماع عربي، والقيام بنقد علم الاجتماع بصورته الحالية، فما يأتينا من الغرب ليس له طابع المسلمات، وعليه طالب بأن تكون لنا قدراتنا الخلاقة في تقديم البديل الملائم والذي يعالج القضايا العربية بحسب خصوصيتها الثقافية والفكرية والعقدية، حيث يتمكن هذا العلم من القدرة على إستخلاص الحقائق الخاصة بنا وفقاً لظروفنا ومعطياتنا الخاصة.

- وقدم "عُدي الهواري" محاولة ضمنها مقاله (الفراغات المعرفية في العلوم الاجتماعية العربية) حينما تكلم عن فكر الشيخ "مُجد عبدو" في مساره نحو إنجاز نقلة معرفية، حيث وقف "عُدي الهواري" على الأسباب التي يرى أنها أجهضت هذه النقلة، بحكم العوائق التي واجهت المشروع الفكري لـ "محمد عبدو"، والتي لا يمكن تحليلها خارج جدل ثنائية العقل والنقل الذي لم ينحصر في علم الكلام فقط، بل أمتدت إلى المعرفة في مختلف الحقب (حنفي، مجاهدي، 2014).

- وقد أقرّح "مُجد رميحي" في إطار صياغة عربية لعلم الاجتماع ما يلي (عبد المعطي، 1981):

أ- أن نجعل من النظرية الاجتماعية تتجه نحو الأصالة، وهو يقصد عدم التقيد بمفاتيح التحليل الغربي التي صممت أساساً لفهم مشكلات مجتمع الأوربي.

ب- رفض المنهج المقارن غير الواقعي في التحليلات الاجتماعية، والإلتجاء نحو المنهج النقدي لتجاوز الواقع المنحرف عن طريق صياغة نابعة من ذات الأمة العربية وليست تابعة.

ج- أن لا تقتصر الدراسات الاجتماعية على جزئيات الواقع فقط ولا تعزله عن سياقه البنائي والتاريخي والمعاصر مع محاولة تقصي أسباب المشكلات ومعرفة حجمها وصياغة حلولها.

- وفي هذا الإطار أقترح "عباس أحمد" (1978، 6-10) جملة من النقاط، منها:

أ- دراسة تكوين المجتمع العربي عامة ومجتمعاته المحلية خاصة، وتحديد فيه معالم البناء الاجتماعي الكلي، الذي يعكس جميع مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية، وكل نظمته الاجتماعية والبيئية والاقتصادية والسياسية.

ب- دراسة التغيرات التي تطرأ على هذا البناء ومؤثراته على أطر المجتمع.

- كما يرى "عبد الباسط عبد المعطي" (1981، 197-199) أن هناك مسلمتان أساسيتان ينبغي علينا أن لا نغفل عنهما، وهما:

- الأولى: أن علم الاجتماع من ميزته أنه علم بنائي شامل، جماعي التوجه دينامي التحليل والتفسير، يسعى إلى إحداث التغيير الاجتماعي المطلوب، ومن ثم فإن أي دراسة جزئية محدودة أو ستاتيكية ثابتة لا تناهض الواقع وتغيره أو أن الدراسة السوسولوجية من أجل الدراسة، فهي ليست من صميم الدراسة الجادة لعلم الاجتماع.

- الثانية: ضرورة وجود إيديولوجيا توجه البحث السوسولوجي، وفلسفة تضع المخطط الإستراتيجي من أجل التنمية الشاملة والنهضة المجتمعية في الوطن العربي، ومن ثم يقترح علينا "عبد المعطي" حدا أدنى من التصورات تسمح للعمل السوسولوجي المثمر، أبرزها يتمثل في:

أ- أن مجتمعاتنا العربية بكل المعايير لا تزال متخلفة عن الركب الحضاري مقارنة بالدول المتقدمة، وبالتالي ينبغي لعلم الاجتماع أن يكشف عن المعوقات الجوهرية وراء هذا التخلف، والإسهام الجاد في تنمية هذه المجتمعات وصياغة الخطط والإستراتيجيات الملائمة في النهوض.

ب- أن التنمية الشاملة لا يمكن أن تحقّقها البلدان العربية فرادى، أي أن العمل العربي المشترك في إطار ما يعرف بالتكامل الإقتصادي، هو ضرورة من ضروريات نجاح العمل النهضوي.

ج- أن تحقيق التنمية الشاملة والعمل الوجدوي المشترك هو محور للتحرر شامل الإقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي، وهذا ما يحقق الإستقرار الاجتماعي والأمن القومي للأمة.

د- أن المجتمع العربي لا يعيش بمعزل عن العالم وأحداثه، بل هو عيش في وسط بؤر التوتر السياسي والأحداث العالمية، وعليه ينبغي على المتعاطين بالتحليل السوسولوجي أن يراعوا هذه الإعتبار المهم والخطير على حاضر ومستقبل الوطن العربي.

- الخلاصة:

وبعد أن تناولنا في هذه المحاولة بالدراسة والتمحيص لبعض الكتابات للباحثين الاجتماعيين العرب وانتقاداتهم التي وجهوها للمساهمين الأوائل في نشأة علم الاجتماع في الوطن العربي ، يمكن إستخلاص النتائج التالية :

أ- أن البدايات الأولى للمنتج السوسولوجي العربي أتت على أيدي غير متخصصة في علم الاجتماع، فأغلبهم كان متخصصاً في الفلسفة والقانون والإقتصاد والتاريخ، مما أثر على طبيعة تناول الدراسات الاجتماعية في العالم العربي.

ب- أن معظم مؤسسات البحث الاجتماعي تأسست في العالم العربي بدون هدف واضح، ونظمت بطريقة قاصرة ولا تستقطب إلا القليل من العناصر القادرة على العطاء، كما يستغل جهد الباحثين فيها بطريقة عاجزة معيبة، ولهذا نجدها لم تنجح في تناول القضايا الحيوية في المجتمع العربي بالتحليل، بل، ولم توفق في دراسة ما عرضت له من موضوعات.

ج- أن نشأة علم الاجتماع في جامعاتنا العربية كانت لها تبعية لمعارف ومنهجية علم الاجتماع الغربي، مما أفضت إلا هزال أدوار هذا العلم في العالم العربي، وإنحساره في مجالات التدريس خلف أسوار الجامعة فقط، دون القيام بدوره المجتمعي والحضاري المرتقب .

د- أن أغلب الكتابات في العلم الاجتماعي لم ترد عن ترجمة كتابات علماء الاجتماع الغرب ونقله حرفيا إلى الطلبة العرب، دون أن يبدعوا في إنتاج علم اجتماع ينطلق من خصائص المجتمع العربي وثقافته الخاصة.

هـ- أن كل الموضوعات التي تطرق إليها الباحثون العرب كانت تتبعد عن المسائل الهامة والمصيرية للعرب والمسلمين، دون إعطاء الدور الحقيقي لعلم الاجتماع في خدمة المجتمعات العربية.

و- أن جل محاولات المتخصصين في الدراسات السوسولوجية كانوا يتناولون مواضيع علم الاجتماع بشكل مجزأ وبعيد عن واقعه، مما أدى بعزل دراسة الظواهر الاجتماعية عن سياقها المجتمعي، مما أفضى بإنسداد الأفق المعرفي والمنهجي في البحث السوسولوجي عند العرب.

ي- أن أغلب الدراسات السوسولوجية تفتقر إلى الابتكار الحقيقي، سواء أكان هذا الابتكار متعلقا بإيجاد منهج جديد في البحث أو بإثارة الشك في بعض المسلمات، أو بتقديم تفسيرات جديدة للظاهرة الاجتماعية في البلاد العربية.

ر- وأن معظم البحوث الإجتماعية كانت بحوثا مبعثرة وغير هادفة وغير متكاملة مع قطاعات الإنتاج والخدمات والسياسة والثقافة والتعليم، فهي لا تستمد المشكلات البحثية من هذه القطاعات، ولا تنفيذ في ترشيد أي قرارات ولا تلعب دورا في تكوين وعى إجتماعي على أساس علمي، وهي غير موجهة لمشكلات الجماهير، ولهذا قلما يكون لنتائج هذه البحوث الدور الفعال في التخطيط للتنمية الإقتصادية والإجتماعية، والمساهمة في إخراج المجتمعات العربية من دائرة التخلف الإجتماعي والسياسي.

- الإحالات والمراجع :

- 1- مصطفى، محسن(2012). بيان في الثورة - هوامش سوسيولوجية على متن الربيع العربي- ط1. منشورات ضفاف. بيروت. دار الأمان. الرباط. منشورات الاختلاف. الجزائر.
- 2- عبد الباسط، عبد المعطي(1981). اتجاهات نظرية في علم الاجتماع. سلسلة عالم المعرفة. (44) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. ص157.
- 3- نفس المرجع، ص169 .
- 4- محمد، أمزيان.(1992)، منهج البحث الاجتماعي في الوضعية المعيارية. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ص103.
- 5- أحمد إبراهيم، خضر(2010). علم الاجتماع - قرن كامل من القشل في مصر والعالم العربي. تاريخ المشاهدة: 2023/12/12-12:00. على الرابط: [https://www.alukah.net/culture/0/28207/%D8%B9%D9%84%D9%85-.](https://www.alukah.net/culture/0/28207/%D8%B9%D9%84%D9%85-)
- 6- لاهاي، عبد الحسين(2014). مستقبل علم الاجتماع في العراق- التحديات وأفاق الحل. تاريخ المشاهدة: 2023/12/12-18:32. على الرابط: <http://iraqieconomists.net/ar/2014/03/20/%D8%A3-%D8%AF%D8%A9->
- 7- نور الدين، الزاهي(2011). المدخل لعلم الاجتماع المغربي. ط1. الرباط. مطبعة النجاح الجديدة. ص5.
- 8- أحمد إبراهيم خضر(2000). إعرافات علماء الاجتماع العرب- عقم النظرية وقصور المنهج في علم الاجتماع- ط1. منشورات المنتدى الإسلامي. لندن. ص30.
- 9- نور الدين، زمام(2006). الجامعة والبحث العلمي في ظل تقسيم العمل العلمي الراهن. دفتر مخبر المسألة التربوية. مجلة العلوم الإنسانية. جامعة محمد خيذر - بسكرة. سبتمبر. ص39.
- 10- الطاهر، الإبراهيمي(2006). نحو علم اجتماع لما التعددية السياسية في الجزائر- الدواعي والإمكان- رؤية تحليلية. مجلة العلوم الإنسانية. جامعة محمد خيذر - بسكرة. ص61.
- 11- نفس المرجع والصفحة.
- 12- عبد الباسط عبد المعطي(1981). مرجع سابق. ص170-171.

- 13- نفس المرجع ص 172-174.
- 14- نفس المرجع ص 174-175.
- 15- أحمد إبراهيم خضر (2000). مرجع سابق، ص 31-32.
- 16- أحمد إبراهيم خضر (2010). مرجع سابق.
- 17- نفس المرجع .
- 18- نفس المرجع .
- 19- نفس المرجع .
- 20- نفس المرجع .
- 21- نفس المرجع .
- 22- عبد الباسط عبد المعطي (1981) مرجع سابق، ص 190 .
- 23- مساك أمينة (2009). علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية بين البرامج الأكاديمية والواقع الاجتماعي. مجلة دراسات إجتماعية وتربوية. العدد 4. منشورات مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة. جامعة محمد خيضر - بسكرة. ص 113-114.
- 24- أحمد إبراهيم خضر (2010). مرجع سابق.
- 25- جهينة سلطان، العيسى، السيد، الحسيني (1982). علم الاجتماع والواقع العربي - دراسة لتصورات علماء الاجتماع العرب. مجلة المستقبل العربي. السنة الخامسة. (44). بيروت. ص 38.
- 26- محمد حافظ دياب (1990). علم الاجتماع في الجزائر - الهوية والسؤال. مجلة المستقبل العربي. السنة الثانية عشر. (134). ص 94 .
- 27- جمال معنوق (1998/1999). واقع وأفاق علم الاجتماع في المغرب العربي : دراسة ميدانية بالجزائر وتونس والمغرب. أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الثقافي. جامعة الجزائر .
- 28- العياشي، عنصر. (1999). نحو علم اجتماع نقدي. ط 1. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. ص 63-71.
- 29- أبو بكر باقادر، عبد القادر عرابي (2006). أفاق علم الاجتماع العربي معاصر. دار الفكر. دمشق. ص 117.
- 30- هشام جعيط (2001). أزمة الثقافة الإسلامية. دار الطليعة. بيروت.
- 31- علي حرب (1996). أوام النخبة أو نقد المثقف. المركز الثقافي العربي. بيروت؛ الدار البيضاء.
- 32- عبد الإله بلقزيز (2000). نهاية الداعية الممكن والمتنوع في أدوار المثقفين. المركز الثقافي العربي. بيروت؛ الدار البيضاء.
- 33- ساري حنفي، مصطفى مجاهدي، (2014). مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي. ط 1. مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت)؛ المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (الجزائر)؛ الجمعية العربية لعلم الاجتماع (تونس). 2014. ص 24.
- 34- الطاهر إبراهيمي: نحو علم اجتماع لما التعددية السياسية في الجزائر ، مرجع سابق ، ص 60 .
- 35- خلف محمد الجراد (1998). معضلات التجزئة والتأخر وأفاق التكامل والتطور - واقع الدراسات والبحوث الاجتماعية في الوطن العربي. دراسة من منشورات إتحاد الكتاب العرب.
- 36- ساري حنفي، مصطفى مجاهدي، (2014). مرجع سابق، ص 23.
- 37- أحمد رميتة (2012). غياب الطلب على علم الاجتماع سبب عزله عن فهم المجتمع. جامعة الجزائر 2. حوار مع "الجزائر نيوز". شوه 17:30 ليوم 2023/12/15،
- على الرابط <http://www.djazairnews.info/on-the-cover/>
- 38- عبد الباسط عبد المعطي (1981). مرجع سابق، ص 191.
- 39- ساري حنفي، مصطفى مجاهدي، (2014). مرجع سابق، ص 25.
- 40- محمد قطب (1998). حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، ط 1، دار الشروق، بيروت، ص 6 .
- 41- عبد الباسط عبد المعطي (1981). مرجع سبق ذكره ، ص 190.
- 42- أحمد الخشاب (1981). التفكير الاجتماعي - دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية - دار المعارف. القاهرة. ص 8-10.
- 43- عبد الباسط عبد المعطي. مرجع سابق. ص 192 .
- 44- ساري حنفي، مصطفى مجاهدي، (2014). مرجع سابق، ص 48.
- 45- عبد الباسط عبد المعطي. مرجع سابق. ص 193-194.
- 46- عباس أحمد (1978). المدخل التكاملي في دراسة المجتمع العربي. مجلة العلوم الاجتماعية (47). الكويت. ص 6.
- 47- عبد الباسط عبد المعطي : مرجع سبق ذكره ، ص 197-199.